# The International Conference
# "Heritage Cities; the Contribution of Heritage to Sustainable Urban Development"

**Luxor-Egypt**

29 November to 02 December 2006

ورقة بحثية بعنوان

## الهـــوية بين الغـــرس والانحـــياز
## " في دلائل التعبير لعمارة الواقع المحلى المعاصر"

إعـــداد :


ا.م.د/ **جمال عطية الخولى****  ا.م.د/ **محمد إبراهيم جبر إبراهيم***


---

### مضمون الطـرح :


عن انس بن مالك رضي الله عنه ..عن " *النبي صلى الله عليه وسلم* " قال : " *إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فان استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذالك اجر*.. " . " *صدق صلي الله عليه وسلم* ".. رواه الإمام احمد .

" ***الغـرس*** " .. *أداة البناء* " *الحـــضاري* " .. ، *حال التقائه بـ* " ***الرمز*** " .. *تتجسد* " ***الهـــوية*** " .. ، *وان* " *جانبها* " *فذاك جل* " ***التحـيز*** " .. *بل و مبعث لإشكاليات عدة* !!.

والهوية دالة " **الموروث** " ، باعثة لصفات " **الاصالة** " في معرض التقائها بمتطلبات " **المعاصرة** " ، .. " **الثقافة** " لغتها ، .. والاستدلال " **الحسي** " على معناها يتخطى الدلائل " **اللغوية** " لتعريفها ، .. **"مكانيا** " .. تشير إلى ثوابت التشكيل الموروثة ، والعناصر المتميزة ، وغير المتكررة ، الدالة على شخصية المكان ، .. و" **زمنيا** " تؤرخ لبصمة ذويه ، .. " **الغرس** " مبعثها ، ..و" **الانحياز** " معيار تواصلها ، .. بضمانه تجسدت حضارات عدة ، .. وثق لبني مجتمعاتها ، وتتابعت أصداء ثقافتها ، علي أن التأكيد على " **تاريخانية** " و" **نسبية** " الهوية يقترن بعدم الإقرار بثبوتها ؛ ..الأمر الذي يكفل لها المرونة والموائمة والتعايش ، .. وحق الاقتباس من ثقافات الآخر .

وتناول مسالة " **الهوية** " كباعث ذي دلالات ثقافية لتشكل " **الذات** " المعمارية ـ وتجسده خصائص البصمة التعبيرية الدارجة لعمران الواقع المحلي المعاصر ـ يؤكد غيبة دور" **الموروث** " كثابت مرجعي يؤرخ في سياقه لبني تطورها ، وينبئ عن خلل واضح في حيثيات " **الغرس** " ، إضافة لتكريسه لما يعرف بمبدأ " **الانحياز** " ، وسواء أكان ذلك نتاجا لضعف " **الذات** " في مواجهة الحضور الطاغي للـ " **الآخر** " أوأنه خلاصة للقطيعة مع الماضي فان مردوده قد تخطي متطلبات التوثيق لجذور المكان الي تقرير نوع من الارتجال والازدواجية ـ حيال التواصل بين القـديم والجـديد الموروث والقادم ـ اثرا بدوريهما علي كنه النتاج ، وارتباطه بمصداقية التناول من جانب وبغية الواقع فيه من جانب أخر .

جانب من الإشكالية إذن تحددت ملامحه في انقطاع التواصل مع معطي الماضي " **النتاج** " و" **المضمون** " مقابل مد متسارع وغير مسبوق للتعاطي مع واقع الحاضر ؛ دونما مرجعية أو اكتراث ؛ .. أورث ـ المد ـ ارتجالا وفوضوية اختلفت ازائهما الرؤى ..؛ بين " **معارض** " ضعف واستكانت سريرته ، .. واتخذ موقع " **المشاهد** " ، وبين " **مريد** " ، .. اتخذ طروحات الركب بني للتواصل مع " **الآخر** " دون إدراك أو تمييز .

لذا تعرض هذه الورقة البحثية في سياق منهج استقرائي تحليلي لدور " **الانحياز** " في تحديد كنه العلاقة بين الصياغة التعبيرية لبني عمارة الواقع المحلي المعاصر وبين حيثيات ارتباطها بعناصر الموروث التراثي لذلك الواقع ، كأساس لـ " **غرس** " ملامح " **الهوية** " المعمارية ؛ الشاهد " الغائب " على مطلب سيرورة التواصل الزماني المكاني .



### كلمات الطـرح :

" العـــمارة .. الثـــقافة .. الغـــرس .. الانحـــياز .. الهـــوية .. التعـــبير " .


---


**أستاذ مساعد كلية الهندسة جامعة عين شمس  بريد الكتروني : gme1957@hotmail.com

*أستاذ مساعد كلية الهندسة جامعة عين شمس  بريد الكتروني : migabr@link.net

# "Identity between planting and bias in the expression Signs of local contemporary reality architecture"

## The content :

For Anas bin Malik may Allah be pleased with him . The Prophet (peace be upon him), said : "But the hour and in the hand of one of you something to plant , if he is able not to stand before planting it ,he should do and he will be rewarded. Narrated by Imam Ahmed.

"Planting" is a" civilized" Construction tool when confluents with the "symbol", the "identity" is characterized and if leaves it out , that is the bulk of "bias" .. But, is a source of several intricacies.

The identity is the function of " heritage", emitting qualities of "originality" in the exhibition of coinciding with the requirements of "contemporary" .. "Culture" is its language and "sensory" inference on its meaning overcomes the "linguistic" signs for defining it, .. "the place" .. referring to the inherited fundamentals of restructuring , the distinctive and non-recurring elements, proving the character of the place .. And "time" chronicled the characteristic of its relatives, .. "Planting" is its source and "bias" is the standard of its continuity, with its guarantee embodied several civilizations, connected to their own communities, and the echoes of their culture continued. But the emphasis on identity being "historical " and " relative " is accompanied by not ratifying its firmness, Which ensures its flexibility, harmonization and coexistence .. beside the right to quote from other cultures.

Approaching "identity" as an incentive with cultural connotations form the architectural "self " –embodied in the features of the expressive characteristics rolling the physical structure of the local contemporary reality - confirms the absence of the role of the " heritage" as a fixed reference chronicles its development in its context, and bodes about a clear imbalance in the "planting", in addition to dedicating what is known as the "bias", and whether that is the output of the weakness of "self" in the face of the overwhelming presence of the "other" or the conclusion of the separation from the past, the outcome of which had surpassed authentication requirements of the roots of the place to decide a kind of improvisation and duplication -about communication between the old and new and the inherited and he forthcoming- has an impact on the essence of the outcome and its connection with the handling credibility, on the one hand, and the view of the reality in it , on the other.

Part of the problem then its features specified in the interruption in communication with the contents of the past "outcome" and "content" against accelerated and unprecedented tide for dealing with the reality of the present; without reference or indifference, which made the tide improvised and chaotic and consequently visions are divided between opponent who became weak and distressed and took the place of the spectacular and supporters who took the originated ideas as fundamentals to communicate with the "other" without recognition or differentiation .

Therefore, this research paper presents in the context of an inductive analytical method the role of " bias " in identifying the essence of the relationship between the expressive language of the structure of the local contemporary reality and the aspects of its connection with the elements of the legacy Heritage of that reality as a basis for "embedding" the features architectural "identity"; the "absent" witness for the demand of proceeding spatial temporal continuum.

**Key words**:

"Architecture ... Culture... Planting... Bias... Identity... Expression"

## تمهـــيد :

عن انس بن مالك رضي الله عنه ، عن " النبي صلى الله عليه وسلم " قال : " ***إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فان استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك اجر*** " . " صدق صلي الله عليه وسلم ".. رواه الإمام احمد .

" **الغـرس** " .. هـنا يؤسس لمنظومتي الفعل " الحـضاري " والتواصـل " البناء " .. ، إن " التقي " بالرمز.. تجسدت " الهـوية " .. ، وان " جانبه " فذاك جل " **التحيز** " .. بل و مبعث الإشكالية وغيرها !!.

لعل رؤيـة الفيلسوف " **أنجوس جرا هام** " في كتابـــه ... ***Richard E. Nisbett, (2003), "The Geography of thought.."*** الرامية إلي أن : " ***الفارق المذهل اكثر من سواه بين تراثين يحتلان طرفي العالم المتحضر هو قدر المنطق ومصيره . اذ ظل المنطق عند الغرب محوريا ، ولم ينقطع ابدا الخيط الممتد لرسالته*** .. " .. تكاد ترصد احد ابرز مشكلاتنا المعاصرة والمتمثلة في التردد فيما بين رؤية مورثنا ـ بعيدا عن كنه وثقل بنيانه ـ بصورة جدلية تستهدف إنكار أهليته لمجابهة طرح الواقع المعاصر ، وبين رؤيتنا إياه بعين الآخر " يقره " هو أم " ينفيه " ..؛ وتلك الرؤية ـ بشقيها ـ وان كانت ملكا " **للخاصة** " فقد تخطاها " **العامة** " الي رؤية أكثر تطرفا ؛ تعمد إلي تراث " **الآخر**" كثابت مرجعي ؛ يصعب ازاءه تقرير " السبب " و" الهدف " ..!!. غير أن ما يمكن رصده ـ إبان ذلك ـ يتعلق بحقيقة الانفصال الحادث بين " **واقع** " الذات المغيب ، و" **ماضيها** " الذي طويت معالمه ، .. بل و" **حاضرها** " الذي لم يعد ملكا لها ؛ .. لقد أضحت ترى " بل لعلها لاترى " ذاتها في ظل البريق الاخاذ لطرح " **الآخر**" !!.. تلك هي البداية ..

.. أما ما بعدها فإن " **الرمز**" في تراثنا لايعني صورة حتى لو تضمنها ؛ لكنه يتخطاها لما هو أعمق واهم ، وهو " الموروث الدلالي لثقافة تشكلها ، .. والإبداع هنا في اعلي صوره هو قبول وتضمن لبواعث نماء ذلك الموروث دون الاقتراب منه ، .. فهو احتواء لبني تلك البواعث دون التعبير المعلن عنها ، والتعبير عن ذلك لا يستلزم بالحتم أن يجسد خلال صور، .. ولكن ربما يتضمنه إظهار هادئ وصامت لحالة من التأمل في البواعث المشار إليها .. بالتالي لا يتحتم أن يعكس العمل مجملا مبدأ أو صورة ، لكنه فقط يحور ويحول الواقع المادي المحيط به كيفيا ؛ بأن يجعله جزءا من حالة الاتزان التي أنتجه ، والتي يقع مركزها في إدراك كنه البواعث ، بما تتضمنه من ميراث جسدته أحاسيس ومضامين ثقافات بعينها " عبد الحليم إبراهيم ، .. مواجهة مع مفاهيم التحيز في الفراغ المعماري ، ص٣٣٠ "..عد الإنسان محورها ، والمعتقد دليلها ، .. وبرغم هذا وذاك فقد غدا واقعها حائرا بين ذاته المغيبة وذلك النقيض الهادم والهادر للإلية والميكانيكية .. حائرا بين غرس جانب بغية الهوية ، وانحياز تبدت علي إثره لغات قربها من الاستنساخ لم يبعدها عن الارتجال !!.

الأمر إذن يتطلب تناولا تحليليا لدور" **الانحـياز** " في تحديد كنه وحقيقة العلاقة بين بواعث الصياغة التعبيرية للبني التركيبية لعمارة الواقع المحلي المعاصر وبين حيثيات ارتباطها بفرضيات الموروث التراثي لذلك الواقع ، كأساس لـ " **غرس** " معاصر وبناء لملامح " **هوية** " معمارية ؛ غيبت وارتبطت بانقطاع ملحوظ لصيرورة التواصل الزماني المكاني .

الرمز في تراثنا لايعني صورة حتى لو تضمنها ؛ لكنه يتخطاها لما هو أعمق واهم ، وهو " الموروث الدلالي لثقافة تشكلها" *الصورة الأولي لمعبد حتشبسوت بمصر ، والثانية لمعبد الملكة بلقيس باليمن والثالثة للمنزل اليمني القديم والرابعة لعمارة المناطق الجبلية بالمغرب.*

## في مسالة الهـوية ..

### الهـوية مفـهوم :

*الهوية " **كمفهوم** " .. أخذت من " **هُوَ .. هُوَ** " .. ؛ بمعنى أنها جوهر الشيء ، وحقيقته .. فهوية الإنسان ..أو الثقافة .. أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها ، ولما كان في كل شيء من الأشياء ـ إنساناً أو ثقافة أو حضارة ـ الثوابت والمتغيرات .. فإن هوية الشيء هي ثوابته ؛ التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها ، طالما بقيت الذات على قيد الحياة . " محمد عمارة ، مخاطر العولمة .. ، ص: ٦ " .*

ويعرف " **الجرجاني** " الهوية بقوله : " **إنما هي الأمر المتعلق من حيث امتيازه عن الأغيار**" ، والامتياز هنا بمعنى الخصوصية والتفرد والاختلاف ، .. ، *ويضيف :*" **بأنها الحقيقة المطلقة ؛ المشتملة على الحقائق ؛ اشتمال النواة على الشجرة في الغيب**" . *" الجرجاني ، التعريفات ، ص : ٣١٤ "* .. ، وهي بهذا المعنى : " **مجموع القيم والمثل والمبادىء التي تشكل الأساس الراسخ للشخصية الفردية أو الجماعية .. والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات و الأفعال الأصلية للفرد والجماعة** ".

أيضا يعرض " **ميكشيللي** " لكونها : "**مركب من العناصر المرجعية والمادية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي** " .. " الهوية ، اليكسي ميكشيللي ، ١٩٩٣م " .. ويفسر " **الحمد** " ذات التعريف بقوله : " **بأن الهوية طالما أنها مركب من عناصر، فهي بالضرورة متغيرة ، وفي الوقت ذاته تتميز بثبات ، مثل الشخص الواحد يُولدَ ويشب ويشيخ وتتغير ملامحه وتصرفاته وأحياناً ذوقه ، لكنه يبقى في الآخر هو نفس الشخص وليس شخصاً آخر** " . " تركي الحمد ، الثقافة العربية في عصر العولمة " .

والهوية دوما جماع لثلاثة عناصر: " **العقيدة** " .. يجسدها اليقين ؛ وتوفر رؤية للوجود ، و" **اللسان** " أداة التعبير، وبه يرمز للغة ، و" **الموروث** " دالة الثقافة ، وتعبر عنه العمائر.. " محمود المنير ، العولمة وعالم بلا هوية ، ص : ١٤٦ ".

واقتران مسألة " **الهوية** " بـ " **العمارة** " يطرح لما يعرف بالدلائل الثقافية لحركية الشكل ، باعتبار الأشكال صيغ تعبير معمارية في حالة حركة دائما ؛ كونها مرتبطة بالحراك الاجتماعي ؛ فالمجتمع هو الذي ينتجها ، ويبثها معانيها ؛ وهو الذي يدفع بها إلى التغيير حتى تستقر أو تتلاشى وتنتهي .. ، وتتحرك الأشكال في سياق مستويات أربعة للهوية كمقياس لذلك الحراك : حيث تبدأ بمعاني فردية ضعيفة ، ثم تصبح مع مرور الوقت ضمن الذاكرة الجماعية ؛ ذات المعاني الرفيعة ؛ التي يصعب معها تغيير الشكل أو تحريكه .. فتبدأ هذه المستويات من " الهوية الادراكية الفردية " ؛ وهي المستوى الأضعف ، ثم " الهوية الفردية القيمية " ، ومن بعدها " الهوية الجماعية الادراكية " ، وأخيرا " الهوية الجماعية القيمية " مشاري بن عبد الله .. الهوية المتحولة والشكل .. ".

## الهوية موروث :

الهوية " **دالة** " الموروث ، " **باعث** " لصفة الاصالة .. ، في معرض التقائها " **بمتطلبات** " المعاصرة ، الثقافة " لغتها " .. ، والاستدلال " الحسى " لمعناها يتخطى الدلائل اللغوية لتعريفاتها .. ، وهى : " **لغويا** " .. تعنى : " الذات .. ذات الشئ ، ..حقيقته وخصوصياته " ، .. **و" فلسفيا "** تعنى : " ما يعرف الشئ في ذاته ؛ دون اللجؤ إلى عناصر خارجية لتعريفه " ، .. وتستعمل أيضا للدلالة على الجوهر ، وهو " مالا يندرج ولا يدخل فى التغيرات الزمنية والعرضية والماهية " .. وفي علم " **المنطق** " تشير إلى معنيين :

- التوافق .. أو التلاقي .. بمعنى التساوي والتشابه المطلق بين كيفيين أو كمين .
- الثبوت .. ثبوت الشئ ثباتا لا يتغير بما يعتريه ، اومايعترى ما يحيط به .

بيد أنها " **مكانيا** " .. تشير إلى الثوابت التشكيلية الموروثة ، والعناصر المتميزة ، وغير المتكررة الدالة على شخصية المكان (عالم الفكر، مجلد ٢٨ ، ١٩٩٩م) ، .. وبذكر المكان يتبدى مفهوم " **الغرس** ".. الباعث لالتقاء " **الهوية** " بـ " **الطابع** " ..، ذلك " الأخير " يجسد مجموع الصفات " **المراجع** " البصرية التى تميز مكانا بعينه ..، وهو "**عمراني**" لارتباطه بإضافات الإنسان والأفراد والجماعات .. ، يرتبط بالمكان والزمان وثقافة الجماعة ، ويجمع بين ثناياه ملامح : **الشخصية ، والخصوصية ، والتفرد ، والتميز، والتمايز ، والطرز ، والوحدة ، والتجانس ، والتكرار** ، و.. ، وإلي غير ذلك .

وللطابع بعدين أساسيين : *" مادي"* و*" ثقافي "* ، .. يدفعا به كـ " مفهوم " لتجاوز الجوانب المادية والبصرية والتشكيلية للنطاقات العمرانية الى الأبعاد الثقافية والاجتماعية والإنسانية للجماعات القاطنة إياها ، لذا فهو بمكوناته وعناصره ومفرداته التركيبية يعد " محددا " للدلائل الفكرية والرمزية لتلك الأبعاد ..، وانعكاسا لملامح المكان والزمان والمتغيرات الاجتماعية والثقافية السائدة ، فهو" تسجيل مركب " لمعطيات الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وكذا التقني للجماعات البشرية .. ؛ والطابع تابع للأحداث والرؤى والتيارات .. ؛ بيد انه لا يشترط أن يمثل قيمة تستوجب الحفاظ عليها ، وتقرير الطابع يتطلب الوعي بالمحتوى والمكان والموروث .

وهوية العمران " نتاج " فعال فكري بين أفراد وجماعات أي مجتمع ، وهي تكريس لقناعات ذلك المجتمع بكنه ذلك النتاج ؛ تكونت هذه القناعات من خلال خبرات ـ متراكمة ـ طويلة مارسها المجتمع .. ، مر فيها بمحاولات التجربة والخطأ حتى تبلورت لديه هذه القناعات على شكل مجموعة من النظم التي وظفت كعناصر اتصال بين أفراده وجماعاته .. ، هذه النظم كانت قد اكتسبت سلطويتها من " **التقاليد** " و" **الأعراف** " .. ، وإزاء حتمية ارتباط العمارة بالفكر والثقافة تحتم وجود حوار متبادل بين ملق ومتلق في المجتمع الواحد ليزداد التفاعل ويتطور وينتظم ( مشاري بن عبد الله ، **العمارة والثقافة دراسات نقدية .. ) .**

هوية العمران " نتاج " فعال فكري بين أفراد وجماعات أي مجتمع ، وهي تكريس لقناعات ذلك المجتمع بكنه ذلك النتاج .

والتأكيد على تاريخانية ونسبية " **الهوية** " ، يقترن بعدم الإقرار بثبوتها .. الأمر الذي يكفل لها المرونة والموائمة ، والتعايش ، والاقتباس من ثقافات الآخر .. بيد أن تناولها في معرض قضية " **الغرس** " وما يرتبط بتلك القضية من دلالات ثقافية ـ تحدد كنه الذات المعمارية ـ يقتضي طرح " **الطابع** " كدالة لخصائص البصمة التعبيرية الدارجة لصيغ العمران ، إلى جانب " **التراث** " الباعث المرجعي لكليهما ، .. و" **الاصالة** " .. " **المعاصرة** " .. وغيرها من مفاهيم ، تؤسس للغرس الواجب والمأمول .

## الموروث غرس :

" **المـــوروث** " .. من " **الإرث** " .. ، مقتضي " **الغـــرس** " .. ، واحد بواعث تشكل " **الهوية** " ، وسند مرجعي لماهية " **الطابع** " ..، وهو للمجتمع مماثل للعادة عند الفرد ، يقترن ببصمة الزمن ، ويشكل احد روافد صياغته ، .. أداه محفزة للبناء المنظومي للحضارة ، ينبغي الا يرادف الركود ، وليس بالضرورة ان يعبرعن طراز قديم ، كما انه لايلزم ان يرجع الى ماسبق بزمن طويل ، فبمجرد اتخاذ احدهم لقرار يتخطى به مشكلة ما فانه يكون قد اتخذ خطوة تجاه ارساء " **تراث** " ، ليعد تكرار اخرين لنفس الحل بداية " **لإقراره** " ، ومع إضافات غيرهم لاسهاماتم يصبح " **الموروث** " قد تم ارساؤه .. بيد ان علاقة الموروث بالزمن لاتشكل متوالية ، بالرغم من إضفاء الأخير على الأول صبغة الاصالة .. وغالبا مايتم اقرار ثوابت " **الموروث** " مع فترات النضج لكل فعل ." حسن فتحى " .. وللمخزون التراثى دوره فى تاكيد " **الهوية** " **Identity** ، و" **التفرد** " **Differentiation** ، و" **الطابع** " **Character** ، وشخصيته المتميزة ؛ الامر الذى يجسد النتاج الثقافى والمادى لاى حضارة ، ومعيارذلك ارتباطه بالموروث التاريخى ؛ كباعث " **للاصالة** " **Originality** ، ومعطيات الواقع كمعيار" **للمعاصرة** " **Contemporary** . ( سيد التونى ، ص٨٢ ) .. لتتبدي آنذاك ملامح " **الغرس** " في أبهي صورها .

ومنظومة التواصل تقتضي التقاء الثلاث : " الموروث " و " الاصالة " و" المعاصرة " ... فـ " **الاصالة** " .. أحد مقتضيات " **الغرس** " الفاعل .. ، تتعلق بمدى ارتباط مجتمع ما بجذور انماطه الثقافية والذهنية منها والسلوكية ، رغم ورود تاثره بنماذج حضارية وثقافية مغايرة للنموذج الحضارى والثقافى الذى ينتمى اليه هذا المجتمع تاريخيا ، .. و" الأصالة" تتطلب تواصلا تاريخيا بلا انقطاع ؛ وهي إزاء ذلك مرادف " **للهوية** " ، واحد صور التعبير عن " **الطابع** " ..،

منظومة التواصل تقتضي التقاء الثلاث : " الموروث " و " الاصالة " و" المعاصرة "

*الصور* (١،٢) *Extension to Victoria and Albert Museum-England لدانيال ليبسكاند Daniel Libeskind*

*والصور* (٣،٤،٥) *BRIDGE HOLLOWAY ROAD UNL لكوب هملباو COOP HIMMELBLAU*

وهى ـ أيضا ـ مطلب تتأكد في سياقه بصمة التاريخ وثقله الحضارى . أما " **المعـــاصرة** " **..** فهي المقتضي التالي " **للغرس** " ..، كمفهوم مباشر تعنى التزامن ؛ بيد ان التقاء المفهوم والتصنيف الراسى للحضارات من جانب واعتبار الحضارة الغربية الاكثر تقدما مرادفا للمعاصرة من جانب اخر كان قد دفع بذات المفهوم تجاه التعبير عن التطور من ناحية والحداثة من ناحية اخرى ، .. على أن المعاصرة آنذاك تستلزم اتساق الفكر ..، بناه ، ومناهجه ، وادواته بما يطرحه ، وينتجه العصر ذاته " سامي خشبة ٥١٥-٥١٦ " .. وتلك ابرز القرائن المجابهة لاستهدافات الغرس .

## في فلسفة الغـرس ..

## الغـرس الواجـب :

*" **الغرس** " من " **غرس** " بفتح السين ،.. ومنها " **غراس** " ، .. و" **الغراس** " : ما يغرس ويزرع ، .. والأبناء " **غراس** " الآباء للزمن ، وكذا الولد " **غرس** " أبيه ، والكل " **يغرس** " وينتظر الثمرة ، و" **الغراس** " : زمن الغرس .. ، والغرس*

*كمعنى يقتضي ربط الأداة ببواعث نمائها ، فلنتاج الغرس مرونة التكيف وتفرد العطاء ، مثلما له أن يركن ويعبر عن الباعث .. ، بل ويكون امتدادا له .*

وأفضل ما ذكر في شان " ***الغرس*** " قوله "***صلى الله عليه وسلم*** " في حديث انس بن مالك : " ***إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فان استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك اجر*** " . " ***صدق صلي الله عليه وسلم*** ".. رواه الإمام احمد ..، باعتباره يؤسس لمنظومتي الفعل والتواصل ؛ فقيام الساعة معناه تساقط النجوم .. واشتعال البحر ناراً .. وتفتت الجبال .. والأرض كلها في حال زوال ، اذاً .. لو أدركت ساعة القيامة الرهيبة أحدا .. فما عساه سيفعل حينها ؟!! " لوأن بيده ***فسيلة فان استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها*** .. " .. يغرس فسيلة النخل التي لا تثمر إلا بعد سنتين ..!! يغرسها والقيامة قد حطت رحالها ودقت أوتادها!!.. " فلسفة الغرس ، محمد الميلفي" .

" فليغرسها " كلمة جاءت لتقر وبرغم بساطتها منهج حياة ؛ منهج مفاده أن طريق الآخرة هو طريق الدنيا بلا اختلاف ولا افتراق !! ، فليس هناك كما يتخيل البعض طريق للآخرة اسمه العبادة والتنسك وطريق للدنيا اسمه العمل والكد ، وإنما هو طريق واحد لا يفترق فيه العمل عن العبادة ولا العبادة عن العمل فكلاهما شيء واحد ..، كلمة جاءت لتهدم ما في عقول البعض من حائط للفرقة بنوه بين الدنيا والآخرة !! فمن الخطأ الاعتقاد بان العمل للآخرة يقتضي الانقطاع عن الدنيا .. والعمل للدنيا يضيع وقت الآخرة !! .. كلمة أسقطت كل أشكال الرهبانية .! وجاءت لتجمع بين حظي الدنيا والآخرة ، ولتقر بكون العبادة هي العمل والعمل لله هو العبادة .. والعبادة من دون عمل ليست بمنهج .. ، قال تبارك وتعالى : " ***وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا*** " صدق الله العظيم .

*.. غير أن ما يعنينا هنا وفي سياق الورقة موضوع الطرح كون " الغرس " أداة للتواصل ومبعث للاستمرارية ، فحديث الرسول عليه الصلاة والسلام وان كان ارتبط بالفسيلة من النخيل إلا أن دلالات المعنى تتسع لأكثر من ذلك بكثير .. تتسع لتقر أن الغرس هو الأساس في التقرير للمستقبل ، وفي ربطه بالواقع ، وكذا في تواصل حيثيات ذلك الربط زمنيا ومكانيا .. ومفهوم الغرس بذاته يتسع لينال بواعث تشكل واستمرارية حياة الإنسان على الأرض .. فليست الفسيلة سوي مثال ؛ التقت فيه صفات النماء والحفاظ والتواصل وغيرها من صفات .. تتعدد صيغ إسقاطها علي ماعدا المثال ..بل لعلها لا تكاد تبعد عن تلك التي في فلكها يتبدى مفهوم الهوية .. مرتكزا علي فعال الغرس الواجب .*

## ***نقيض الغرس ..***

### ***" نظرية الغرس " :***

**" نقيض الغرس "** .. هذا يرتبط بما نشره الكاتب والمفكر الأمريكي **" ألفين توفلر"** في كتابه الشهير **" صدمة المستقبل "** عام ١٩٧٠، .. محللاً الكثير من مظاهر الإرباك التي يتعرض لها الإنسان في خضم التقدم التقني الهائل في الغرب .. ، وقد خرج بنتيجة مفادها : أن **" الإنسان "** فرداً وجماعات ـ ومع تغيرات العصر ـ يتعرض باستمرار ـ وخلال فترات قصيرة جداً ـ لضغوط **" صدمات "** هائلة عبر التغيرات الكبيرة في الظروف الحياتية التي يعيشها ، وأن قدرته على التكيف معها غالبا ما تكون محدودة ، وبالرغم من تمكن البعض من التلاؤم مع تلك الأوضاع ، إلا أن الكثيرين يواجهونها بردود فعل مختلفة ، قد تبدأ بنوع من النفور فالقلق وعدم التجاوب ، مروراً بحالات من الاكتئاب والجنون!! ، وربما وصولاً إلى عنف " أحمد دعدوش : إشكاليات الثقافة في عصر العولمة ، ٢٠٠٦ م " استتبعه ظهور خيارات عدة للهروب من واقع لم يعد يقيم أهمية تذكر للإنسان وقيمه الروحية ؛ ضمنها ظهورعقاقيرالهلوسة والمخدرات والمسكرات وغيرها ؛ كأداة للقضاء على أي رغبة عقلية للإحساس بهذا الضياع ، في الوقت الذي يسمح فيه للأعصاب المنهارة باستجداء خيط رفيع متبق كشعور أخير باللذة ..، أيضا اختار كثيرون الانتظام في زيارة عيادات الطب النفسي ، أو الانخراط في جماعات دينية مصطنعة ، فظهرت حركات مثيرة تدعو للعودة إلى التدين وإحياء القيم **" الأخلاقية "** من جديد ، وخرج مئات الشبان والشابات إلى الشوارع وهم يرتدون المسوح ويقرعون الطبول، في طقوس عجيبة لمذاهب مبتكرة ؛ تحمل أسماء غريبة مثل : **"هاري كريشنا" ، "جون بيرش " ، " كوكلوكس كلان " ، " معبد الشعب " ، "بعثة الضوء الإلهي"** ، ونحو ذلك (عبد اللطيف العوفي : " تأثيرات الغرس الثقافي لأفلام الفيديو.. " .

إن الاستطراد في حيثيات ذلك المشهد بقدر ما يؤكد مقولة : **" لاغرو إذن في أن مثقفو اليوم هم جنرالات المعركة المقبلة وقادتها ومحددو نتائجها، لقد بات عليهم من الآن فصاعداً القيام بدور محوري في معركة الدفاع عن الأمة وحضارتها..."**.. بقدر ما يلقي بظلال بالغة القتامة علي موقع **" الذات "** من تلك الأحداث ؛ خاصة إذا ما ادراجت *نظرية " الغرس الثقافي "* .. *للأفكار والمعتقدات ؛ تلك تؤكد علي :* **" قدرة ميديا الإعلام على اختلاف صورها ـ وأيدلوجياتها ـ في خلق واقع تخيلي ، تنتفي إزاءه قدرة الذات على التفرقة بينه وبين واقعها الطبيعي"** .أحمد دعدوش ، إشكاليات الثقافة في عصر العولمة ، ٢٠٠٦ م " ضمن حيثيات ذلك الطرح .. ذلك أن بواعث الإشكالية ونتاجها صنيعة " الآخر " الفاعل ، بيد

أن تبعاتها قد نالت بـالفعل من " **الذات** " التي لم تتخذ ـ ومنذ زمن ـ خيار المشاهد فحسب ؛ بل تعدته إلي التلقي دونما حراك .

وكانت " **نظرية الغرس Cultivation Theory** " قد ظهرت في سبعينيات القرن الماضي ، و تؤكد علي أن وسائط الإعلام تقوم بغرس عالم وهمي في ذهن المتلقي ، يقوم بدوره بتقبل هذه الصورة على أنها تعبير حقيقي عن واقع غير واع بطبيعة صنعه ، بل إن وعيه لا يتعدى الشعور بالتسلية ، إزاء تعايشه المغيب مع شتي طروحات ذلك الواقع .. وفي سياق ذلك تكرس تلك النظرية لمعاني بعينها ، ذكرها الباحث البيروفي **"جوركي تابيا"** على الشكل التالي :

- *فالبيئة .. مجتمع اسـتهلاكي ترفي خـال من التناقضات .*
- *والقيم الأساسية .. الفـردية والأنانية والمـنافسة العنيفة.*
- *والنجاح .. التفوق المـادي على الآخرين ، والتلذذ بمباهج الحياة.*

والمجتمع حينئذ يقر بحتمية رضا الخاسرين بقدرهم ، والتسليم له بدلا من التمرد أو محاولة التغيير.. في سياق سيطرة نظرة مادية براجماتية لتلك المعاني ، تقدم على أنها ليست إلا للترفيه والتسلية، في حين يؤكد الباحث الأمريكي **"هربرت شيلر"** على " **أن صيغ الترفيه تلك ليست سوي أشكال تربوية .. ذات طرح أيديولوجي** "، ويؤيده **"ميلفين دي فلير"** في قوله : " **يمكن رؤية الاعتماد القوي لوسائل الإعلام على النظام الترفيهي بسهولة أكثر في تعديل القيم والقواعد السلوكية** ".

وفي معرض فرضيات نظرية " **الغرس الثقافي** " توصف عملية الغرس بأنها نوع من التعلم العرضي الذي ينتج عن التعرض التراكمي " للوسائط المرئية " حيث يتعايش المتلقي دون وعي مع طروحات واقع مستنسخ ، يصبح بصفة تدريجية أساسا للصور الذهنية والقيم التي يكتسبها عن عالمه الحقيقي ، ولا تقتصر تلك العملية علي التدفق المتتالي للبناءات المرئية ، ولكنها جزء من عملية مستمرة وديناميكية للتفاعل بين مختلف الرسائل والسياقات .. ؛ تتنامي تأثيراتها مع صغار السن من الجماعات والأسر غير المتماسكة أو بين الأطفال الذين يقل لديهم الانتماء إلى الأسرة أو الجماعة ، وكذلك بين الجماعات الهامشية ، أو الأقليات ، أو بين من تصورهم تلك الميديا ضحايا . " عبد العزيز حمد عبد الله الحسن : " وسائل الإعلام والإعلان .. وصف نظري للعلاقة والتأثير.. " .

ونظرية " **الغرس الثقافي** " ترتبط باخري تعرف بنظرية " **ترتيب الأوليات** " وتؤكد على أن للوسائط المرئية أيضا أن تحدد للمجتمع القضايا التي يفكر فيها ويناقشها، وهي بذلك توغل في التأكيد على وجود التأثير ـ المشار إليه ـ وتحققه بشكل مباشر أكثر من غيرها من النظريات الأخرى .. وبناءً على هذا التصور فإن من مهام القائمين على صناعة الرسالة المراد بثها للمتلقي تحديد الأشخاص الملائمين لحملها كما ينبغي ، وإيصالها للآخرين من خلال قنوات الاتصال الشخصي " *Lowery, A. & Melvin L.. (1995). **Milestones in Mass..**, P. 387 .. "* استنادا إلي ما يعرف بـ " **التأثير الاختياري** " .. ذلك الذي يستند إلي مبدأ إشباع الرغبات والحاجات ، ويستند إلي أن التراكمات المعرفية في هذا الجانب جاءت لتؤكد أن هناك فئات معينة من الناس لا تقدم على اختيار وسيلة معينة من وسائل الإعلام فحسب وإنما تلجأ إلى تفسير ما تُقدم بصورة مغايرة لتفسير البعض الآخر " Defleur, L. & Sandra, B. (1989), ***Theories of Mass..*** الأمر الذي أكد على أن جدوى توظيف ثلاثة عوامل *" الاختلافات الفردية بين المتلقي وغيره ، والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، وكذا علاقاته بالآخرين ".*. كأساس لتحديد خيارات المتلقي لقاء الرسالة .

## في مفهوم الانحياز

### .. الانحياز رؤية :

بحسب راسم بدران : " **التحيز من حاز وهو التملك ، ومن انحاز وهو الانصراف بالملك إلي جهة ما . والتحيز معناه شغل المكان وإضافته إلي شخص ما ، وهو أساس التملك ، وبهذا المعني يدل " الانحياز " علي كل ما يصرف المواقف إلي جهة محددة ، أو ما يوجه الآراء وجهة دون غيرها من الوجهات ، وعلى ذلك لا يخرج الانحياز عن انه يكون اختيارا محددا من بين مجموعة معينة من البدائل ، يميل المرء في النهاية لأسبابه الخاصة إلي ترجيح احدها علي غيرها جميعا** " ، علي أن التحيز المنهجي في ميدان الفنون ـ باعتبارها احد روافد العلوم الإنسانية ـ أمرا ذا صعوبة إزاء اقترانه بتساؤل : هل ثمة مناهج يمكن إتباعها في الفنون ؟ .. بمعني : هل ثمة منهج يمكن للمصور أو النحات أو المعماري أن يتبعه في بحثه ؟ والفارق كبير بين الفن بوصفه إبداعا وبين الفن بوصفه تاريخا يسرد كقصة لهذا الفن أو ذاك ، حتى وان كان السرد يتخذ صورة نسق محكم كما هو الحال عند بعض الفلاسفة .

وفي موضع أخر يضيف بدران : " **علي انه وان كان الانحياز المنهجي حقيقة واقعة فلا ينبغي النظر إلي ذلك الأمر باعتباره يمثل معطي واحد لا تنوع فيه ، ولا تعدد في تجلياته داخل مختلف ميادين الحياة الإنسانية ، فالمناهج التي تتسم**

**بقدر من الانحياز في ميدان العلوم الطبيعية ولربما الرياضية أيضا قد يكون الانحياز فيها عاملا ليس له الأثر ـ علي ماله من اثر بالطبع ـ مثلما يكون للانحياز في ميدان العلوم الإنسانية التي لا تتوقف فيه قيمة النتائج في كثير من الأحيان علي نوعية المنهج المستخدم في هذا الحقل الإنساني أو ذاك . حتى لكان النتائج في العلوم الإنسانية عناصر يمكن التنبؤ بها حتى قبل خوضها بحثيا "** .. راسم بدران ، العمارة والتحيز "ص٧٣١/٣١٥ " .

ثمة نحت روماني ، ورسم إيطالي ، وعمارة إسلامية ، وموسيقى ألمانية .. الخ .. ، الأمر هنا يتعلق بانتساب الفن إلي قومية ما ، أي إلي فكرة روحية محددة في صميم هذه الأمة أو تلك ، ولكن هل هناك إمكانية للتحدث عن منهج في العمارة الإسلامية وأخر في النحت اليوناني وثالث للرسم الإيطالي وغيره للموسيقي الألمانية .. إذا كانت الإجابة بنعم فما هي تلك المناهج ، وان كانت بلا .. فالأمر يتطلب بحثا عن مفهوم التحيز في معطي أخر ؛ يقع خارج منطقة المنهج في الفن حيث لا وجود للمنهج أصلا ؛ وإنما هنالك رؤى حضارية ثقافية تتجلي في كل عصر بطريقة ما تقود إبداع المبدعين .. وتؤرخ لمعطي ثقافي يخلع علي الفن هويته الإسلامية أو الألمانية أو الإيطالية أو غير ذلك من جانب ، ومن أخر تقر بحقيقة التميز الشخصي لنتاج هذا الفنان أو ذاك ، في سياق يؤكد انتسابه إلي الكلي الحضاري القومي مع تأكيده علي ذاته وخصوصيته .

ولكون العمارة احدي الفنون إزاء إطلاعها بالتعبير عن أفكار الإنسان ورؤاه عبر الماضي والحاضر، فلم يكن النفع يوما إلا جانبا من وظائفها ، بيد أن التعبير كان دوما احد أهم عناصرها ؛ التي كرست العمارة نفسها لتحقيقها وتجسيدها في تعبيراتها المتعاقبة عن الروح الإنساني وروح المعماري وروح الأمة التي ينتسب إليها وثقافتها بما تحوز عليه من فلسفات وعادات وتقاليد واديان وموروث شعبي سمعي ومقروء .. بالتالي فان البحث عن الانحياز في العمارة الفن هو بحث عن الكلي المميز لكل امة وعن الجزئي المميز للفنان ، وعن التفاعل بين كليهما داخل عمارة بعينها وضمن أعمال معماري بذاته .

لكون العمارة احدي الفنون لم يكن النفع يوما إلا جانبا من وظائفها ، بيد أن التعبير كان دوما احد أهم عناصرها ؛ التي كرست العمارة نفسها لتحقيقه وتجسيده في تعبيراتها المتعاقبة عن الروح الإنساني وروح المعماري وروح الأمة التي ينتسب إليها وكذا ثقافتها .

ويري " بدران " **أن نجاح المعماري في التوفيق بين الكلي والجزئي يخرج به بعيدا عن نطاق التحيز إلي تعبير مطابق يحقق اعلي درجات الموضوعية ، يتحقق فيه الجزئي في الموضوعي ويتعين الموضوعي في الذاتي ، أي أن الجزئي يكتسب موضوعيته من الكلي ، بينما يحقق الكلي خصوصيته في الجزئي ، في معادلة تحول دون تحيز المعماري والعمارة .** " راسم بدران ، العمارة والتحيز ، ص٧٣١/٣١٥ " .

## أشكال الانحياز :

بحسب رؤية " بدران " فان للانحياز ـ وإزاء العلاقة بين الكلي والجزئي ـ أن يتخذ أشكالا ثلاثة :

*الأول .. يحقق المنتج المعماري الكلي فقط ، إزاء اتخاذه صورا تكرارية مجردة لا قيمة لها ، فقد يكون النتاج إسلامي بلا نسب يستعصي سنده ، يتخذ صورة مستنسخة لغيره من الأعمال .*

*الثاني .. يقتصر فيه المنتج المعماري علي الجزئي والفردي دون الكلي ، ليفتقد آنذاك الهوية والنسب ، يستعصي رده إلي كلي أو إلي ثقافة بعينها يستمد منها قيمه ، فهو في هذه لحالة عملا بريا وحشيا يصعب استقراء ملامح الاصالة فيه .*

*الثالث .. ثمة شكل وأخير للانحياز .. ذلك الذي يستعير فيه صاحبه أفكارا معمارية من حضارات مغايرة .. وهو انحياز سائد في عالمنا العربي والإسلامي ؛ يستعير بمقتضاه غالبية المعماريين أطرهم الفكرية وتقنياتهم العلمية وحتى عناصر البناء من حضارات أخري .. الحضارة الغربية .*

## الهوية . الرمز .الانحياز :

أما عن " **الهوية** " فقد سبق الإشارة لكونها دالة الموروث ، والباعث لصفات الاصالة في بنائه .. ، في معرض التقائها بطروحات المعاصرة ، .. الثقافة لغتها ، تتبدي في سياق معاني : التوافق .. أو التلاقي .. بما يتضمنه من تساوي وتشابه المطلق بين كيفيين أو كمين .. وكذا الثبوت .. ثبوت الشئ ثباتا لا يتغير بما يعتريه ، أو ما يعترى ما يحيط به .

وأما عن " **الرمز** " فهو أداة الطابع ببعديه : المادي و الثقافي ، .. وتمثلهما الأبعاد الثقافية والاجتماعية والإنسانية للجماعات قاطنة المكان ، والطابع محددا للدلائل الفكرية والرمزية لتلك الأبعاد ..، وانعكاسا لملامح المكان والزمان وكافة المتغيرات السائدة ، وهو تسجيل مركب لمعطيات الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وكذا التقني للجماعات البشرية .. ؛ والطابع تابع للأحداث والرؤى والتيارات .. ؛ بيد انه لا يشترط أن يمثل قيمة تستوجب الحفاظ عليها ، وتقرير الطابع يتطلب الوعي بالمحتوى والمكان والموروث .

الرمز هنا هو حامل لجينات الشكل والتكوين ، وإطار لمشروعية التشكيل من الناحية الحضارية ، وحيز لاستحضار الذاكرة ، ووعاء لنبض الإبداع في العملية المعمارية .. ولحظة استحضار الرمز هي لحظة تساؤل حر غير منقاد ، أو مرهب ، أو محجوب عن منبع الرموز في ثقافة المبدع ، أو بيئته ، أو مفصول عن وجدانه .. بالتالي فان القدرة علي استحضار الرمز أو صياغته لاتاتي بانسياق اعمي وراء رمز مسبق ، غير مدرك أو مستبطن للمبدع .. والمتأمل للموروث المعماري بعامة يري تيارين للتعامل مع الرمز :

*الأول* .. يربط الرمز وعملية استحضاره وصياغته بتراث الجماعة ومنابع المعاني فيها سواء في عقائدها أو قيمها ، ويتمثل استحضار الرمز في هذه الحالة خلال حدث جماعي يمثل انكسار لتقليدية الحياة واستمراريتها ويقترن بحس الجماعة لقاء المقدس .

*الثاني* .. يستقل في طرحه وبلورته للرموز عن تراث الشعب الإبداعي ، ويركن إلي رموز مسبقة أو نظريات أو طرز غالبا ما تكون بعيدة عن حس الجماعة أو عقائدها أو تقاليدها .

أما إشكالية " **التحيز** " في العمارة ففي سياق طرحه لأحدي ملاحظاته حولها يعرض عبد الحليم إبراهيم للرموز في العمارة باعتبارها : " كليات تحمل ميلاد المعني ، وتربطه بأعماقه السحيقة في حضارات الشعوب ووعيها بوجودها .. والعمل المعماري في هذا السياق يولد لحظة استكشاف أو صياغة رمز يوجز طبيعة العمل ويحمل هويته ويرسي صلته بمواطن المعاني ومنابعها في الثقافة سواء في الأساطير أو العقائد أو القيم أو في الطبيعة " . عبد الحليم إبراهيم : " من الحوض المرصود إلي ميدان الراجيستان ..، ص٣٢٧/٣٢٩ ".

يربط الرمز وعملية استحضاره وصياغته بتراث الجماعة ومنابع المعاني فيها سواء في عقائدها أو قيمها ، ويتمثل استحضار الرمز في هذه الحالة خلال حدث جماعي يمثل انكسار لتقليدية الحياة واستمراريتها ويقترن بحس الجماعة لقاء المقدس .

التيار " *الأول* " .. افرز عمارة في مجملها إنسانية بكونها معبرة عن قوميتها ومجتمعها ، و" *الثاني* " .. يفرز عمارة فوقية سلطوية قسرية ، يستقل فيها الرمز عن حيز المعاني للجماعة الإنسانية ، ولمجتمع المبني أيان كانت وظيفته ..

وصياغة الرمز هنا عملية إبداعية ليست مطلوبة لكل مبني ، لكنها استلهام لإطار المعاني لمبني معين قد يستقطب حوله أو بعده جيلا من المباني التي ينتمي حيز المعاني في تشكيلها للرمز الأول .

## *الانحياز للذات .. الانحياز للآخر :*

إن عالم العمل المعماري اليوم في معظمه محجوب عن حيز الرموز ؛ الذي يعبر عن الوجود الإنساني ، ويختصر الإشكاليات الأساسية التي تواجهه ، خلال رمز يمكنه من أن يلم بكلياتها ، ومن ثم يكون قادرا علي أن ينطق بحسه أو عقله أو تجربته للتعامل معها ، فمازال حيز الرموز المطروح علي معماري اليوم وممارسيه هو الآلة وإطارها المعرفي الماثل في مادية الحياة وميكانيكيتها .. وبرغم إفلاس هذا الرمز من مضمونه الذي عد احد إنجازات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في المجال التقني إلا أن آلة الترميز ممثلة في مهن التصميم والفنون وغيرها ما تزال تهيمن علي مقدرات ووجدان العالم وتفرض الآلة والآلية رمزا لفكر ونتاج هذا العصر ، مستقلة أو محتجبة عن واقع الشعوب ونبع الرموز بها .

والانتقال من رمز لآخر في إطار حضارة معينة يمثل حدثا ثقافيا ومعماريا هائلا يتبؤ فيه رواد المجتمع بشتى طوائفه إعادة الصياغة للرمز وبلورته في قالبه الجديد ، والانتقالية الرمزية تجسد لب اللحظات التاريخية الهامة ؛ يعيد فيها المجتمع صياغة مفاهيمه ، وتقرير معني وجوده ، وتجسد العمارة هذا المضمون ، وتعلن خلال رموزها ملامح هذا الوجود معناه وهويته وبواعث ارتقائه .. عبد الحليم إبراهيم :" من الحوض المرصود إلي ميدان ..، ص٣٢٧/٣٢٩ ".

بيد أن ذلك التجسيد يظل كقيمة رهن العلاقة الشائكة بين كنه الذات وعلاقاتها بثقل مواريثها وسلوكها تجاه حاضرها وكذا رؤاها تجاه آفاق مستقبلها ، .. وهي وان كانت تملك الموروث إلا أن وجودها في الحاضر وإدراكها لحقيقة المستقبل يعدا احد أطراف الإشكالية ، ذلك أن الحاضر المعني يعد نتاجا خالصا لذلك الآخر ، وانقطاع التواصل بين الذات وبني ذلك الحاضر من شانه أن يحول بينها وبين تبين ملامح المستقبل .. ومن هنا تزداد الإشكالية تعقيدا .. فالانحياز للذات وإزاء السبق الأخاذ للأخر قد يحول دون اتخاذها لأحدي عربات القطار ، وأيضا فان الانحياز للآخر ـ وفي هذا المأزق التاريخي الغير مسبوق ـ هو بالقطع انفصال عن الموروث المؤشر الوحيد علي قدرة الذات علي النزال !!.. وبين هذا وذاك يأتي النتاج في صيغ بعضها يستهدف احتواء ذلك الطرح وبعضها السائد يسقط في فكاك الارتجال والتردد ويعزي لذلك الأخير كافة مشكلات العمران المحلي المعاصر .

اقتران التطور المذهل ـ والغير مسبوق ـ الذي جسدته عمارة " الآخر " بضعف وحيرة " الذات " ولد مزيدا من الخلل والاضطراب لقاء رؤاها لحيثيات حضورها .

## في تقرير دلائل التعبير :

يأتي التناول التحليلي عمارة الواقع المحلي لينبئ عن تقرير لأبعاد الإشكالية موضوع الطرح .. ذلك أن المد التقني الغير مسبوق للحضارة الغربية المعاصرة كان قد أربك ذلك الواقع ودفع به لقاء عديد من الخيارات تجاه علاقاته بموروثه واستحضاره لبواعث حضوره وكذا تقريره لملامح مستقبله .. والحديث عن الموروث والحاضر والمستقبل وجه أخر للحديث عن الهوية ؛ .. وأما الخيارات فقد تراوحت مابين تكريس لصورة ماضي بعيد ما لبس أن خفتت ترانيمه ، أو تقرير " للآخر " كبديل أوحد ، أو استهلال لمعزوفة معاناة " الذات " ، أو تردد ارتجالي مابين هذا وذاك .. ومابين تلك الخيارات مجتمعة تجسدت صورة الواقع المعماري .. متضمنة : " غرس لم يكتمل " .. " لنا أن نره في قاهرة الخديوي و ضاحية مصر الجديدة "، أو تقرير لسطوة الحاجة .. تجسد في استطراد دون معنى .. كما في : " إسكان مصر الجديدة و شركة مدينة نصر "، .. أو انه في النهاية تمثل لثقافة الآخر ونقض لمسالة الجذور .. ونره في مقتطفات مثل : " خالد سعد الله و.. السرايا .. " .. علي أن إدراك كنه ذلك وما اله يتطلب تناول كل من :

*" ثقافة التناول .. دلائل التعبير ..مستوي الوظائف ".*

## في ثقافة التناول :

ثقافة التناول ـ فكرا وممارسة ـ لمنظومة العمران بالواقع المحلي جسدت أزمة ضعف " الذات " في مجابهة ثقل " الآخر " وترتب عليها أمور فكرية عدة :

طرح فكري بمناي عن واقع عمارة الذات .. سمته الاحتواء لا المبادرة .. والتناول السطحي دون عمق .

تمثل الآخر في المنهاجية وسبل الطرح ..دونما الالتفات إلي الحيثيات الواجبة لذلك الطرح .

رؤى مغيبة تركن إلي " حلم " واقع الآخر بديلا عما يجابهها من معاناة تستشعرها الآنا في واقع ذاتها .

المد التقني الغير مسبوق للحضارة الغربية المعاصرة كان قد أربك الواقع المحلي ودفع به لقاء عديد من الخيارات تجاه علاقاته بموروثه واستحضاره لبواعث حضوره وكذا تقريره لملامح مستقبله .. الصور(١،٢،٣،٤) من الإمارات والصورة (٥) من الكويت والصورة (٦) من البحرين.

## في دلائل التعبير .

بني التعبير لعناصر العمران تكاد تقتصر علي ثلاث سياقات :

- استنساخ شكلي لصيغ تعبيرية تختص ببيئات مغايرة .. دونما اعتبار لطروحات بيئة الذات وما تتطلبه من ضوابط تختص بتوظيف الإفراد التقني بما يتفق وتلك الطروحات .
- ارتجال تشكيلي يفتقر إلي الموضوعية والمسبب .. ويترتب عليه انقطاع في بني التواصل المكاني منه والزماني .
- ازدواجية لقاء المرجعية التراثية .. ترتب عليها الإمعان في توظيف مفردات موروث **" الآخر"** ضمن البني التشكيلية لعمران الذات .. افتقرت - في التقائها بعناصر منظومة التعبير - إلى المرجعية مع ماضيها وحيثيات التلاقي مع متطلبات حاضرها .

## في محتوى الوظائف :

لا يخفي علي احد أن المحتوي الوظيفي بكثير من النطاقات العمرانية لا يخضع لرؤى مسبقة أو أهداف مستقبلية .. وقراءة ذلك ميسر سواء في الخلل الذي تتضمنه بعض البني الوظيفية لعديد من عناصر العمران بمعظم الأرجاء الحضرية أو في التحولات الوظيفية التي يمكن رصدها ببعض من تلك الأرجاء .. فعلي سبيل المثال : تحولت مدينة العاشر من رمضان إلي حيز صناعي متنامي شهد خللا في تطورات المدينة الاجتماعية والسكانية ، أيضا يمكن تبين عديد من الأسباب التي انبري عليه الخلل الوظيفي لعناصر العمران بعديد من المجتمعات الجديدة ، أيضا فان النمو المضطرد للقاهرة الجديدة دون غيرها من المدن ارتبط بتنامي الإقبال عليها " وفقا لمقتضي الواقع " وليس لتوقعات ودراسات مسبقة ، كذلك يمكن رصد عديد من أوجه التغير لصيغ الوظائف بعديد من أرجاء القاهرة .. وبصورة يمليها الواقع ولا تتحكم فيها رؤى الأجهزة المعنية .. لدرجة انه يمكن القول بان سياسات تلك الأجهزة لا تعدو المتابعة المتصلة للمتغيرات المترتبة علي الظواهر الحضرية التي تتضمنها مختلف المناطق الحضرية .

## نتائج الطرح :

أسهم المد التقني الغير مسبوق في أرباك الواقع المعماري المحلي المعاصر ودفع به لقاء عديد من الخيارات تجاه علاقاته بموروثه واستحضاره لبواعث حضوره وكذا تقريره لملامح مستقبله .. تراوحت تلك الخيارات مابين تكريس لصورة ماضي بعيد ما لبس أن خفتت ترانيمه ، أو تقرير " للآخر " كبديل أوحد ، أو استهلال لمعزوفة معاناة " الذات " ، أو تردد ارتجالي مابين هذا وذاك .. وقراءة متأمل ذلك في " ثقافة التناول " وفي " دلائل التعبير " وكذا في " محتوى الوظائف " أمرا لا جدال فيه .

**ففي ثقافة التنـــاول** - الفكر والممارسة - جسدت أزمة ضعف " الذات " في مجابهة ثقل " الآخر " وترتب عليها أمور فكرية عدة :

- طرح فكري بمناي عن واقع عمارة الذات .. سمته الاحتواء لا المبادرة .. والتناول السطحي دون العمق .
- تمثل الآخر في المنهاجية ، وسبل الطرح ..دونما الالتفات إلي الحيثيات الواجبة لذلك الطرح .
- رؤى مغيبة تركن إلي " حلم " واقع الآخر بديلا عما يجابهها من معاناة تستشعرها الانا في واقع ذاتها .

**وفي دلائل التعـــبير** .. يمكن إدراك أن البني التشكيلية لعناصر العمران بالواقع المحلي تكاد تقتصر علي ثلاث سياقات :

- استنساخ شكلي لصيغ تعبيرية تختص ببيئات مغايرة .. دونما اعتبار لطروحات بيئة الذات وما تتطلبه من ضوابط تختص بالتوظيف الملائم للإفراد التقني .
- ارتجال تشكيلي يفتقر إلي الموضوعية والمسبب .. ويترتب عليه انقطاع في بني التواصل المكاني منه والزماني .
- ازدواجية لقاء المرجعية التراثية .. ترتب عليها الإمعان في توظيف مفردات موروث **" الآخر"** ضمن البني التشكيلية لعمران الذات .

**أما في محتوى الوظائف** .. فانه لا يخفي علي احد أن المحتوي الوظيفي لكثير من النطاقات العمرانية لا يخضع لرؤى مسبقة أو أهداف مستقبلية .. وقراءة ذلك ميسر سواء في الخلل الذي تتضمنه بعض البني الوظيفية لعديد من عناصر العمران بمعظم الأرجاء الحضرية أو في التحولات الوظيفية التي يمكن رصدها ببعض من تلك الأرجاء .

*واحتواء تلك الإشكالية يتطلب السعي نحو اكتشاف عوالم الرموز الفاعلة والحية في حياة المجتمع ، والتي تجسده ثقافاته المحلية ، تلك الرموز الصامدة لتحديات اليوم ، والباقية في جوانب حياة المجتمع الثقافية ، أو تلك المختفية بعمق في التراث والتقاليد ، وان خفتت أو توارت بعيدا عن أضواء الحداثة والمادية ، وتلك لا تختلط في العمل المعماري بالصور و الرؤى الخالية من المعنى ، باعتبار أن استكشاف الرمز عملية إبداعية ، لا تقف عند تصور ذاتي ، أو استلهام فردي ، وإنما بالحتم تستقطب الجماعة ، خلال أحداث إبداعية ، يمثل فيها العمل الإبداعي الفردي مبادرة ورؤيا، تستنهض الطاقة والإرادة الجماعية ، لتتحول بالتبعية إلى حركة ونشاط إبداعي ، هو الباعث والمولد الحقيقي للرمز أو إطار المعاني به .*

## المـــراجع :


١. أحمد دعدوش : " ***إشكاليات الثقافة في عصر العولمة*** " ، مجلة العصر ، نقد الفكر المعاصر، الثقافة والأدب ، مايو ٢٠٠٦ م .
٢. اليكسي ميكشيللي : " ***الهوية*** " ص ١٦٩، دمشق ، دار الوسيم ، ١٩٩٣م .
٣. الشريف الجرجاني : " **التعريفات** " ، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص: ٣١٤.
٤. تركي الحمد : " ***الثقافة العربية في عصر العولمة*** " ، ط٢ ، بيروت ، دار الساقي ، ص١٨ ، ٢٠٠١م .
٥. راسم بدران : " ***العمارة والتحيز*** : المعهد العالمي للفكر الاسلامى ، سلسلة المنهجية الإسلامية ، إصدار رقم (٩) الطبعة الثالثة ١٤١٨ه-١٩٩٨م ص١٨٢/١٤١، " إشكالية التحيز.. رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد " **..** المحور الثالث **"** الفن والعمارة " تحرير : د.عبد الوهاب المسيرى *"* .
٦. سامي خشبة : " ***مصطلحات فكرية*** " ص ٥١٥ ، المكتبة الأكاديمية ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٤م.
٧. نسمات عبد القادر ، سيد التونى : " ***إشكالية النسيج والطابع*** " دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٩٧م .
٨. صامويل هنتنجتون : " ***صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي***" ، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة ، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، ص: ١١٦.
٩. عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مجلد ٢٨ ، ١٩٩٩م.
١٠. عبد الحليم إبراهيم : : " **مواجهة مع مفاهيم التحيز في الفراغ المعماري .. من الحوض المرصود إلى ميدان الراجيستان** " المعهد العالمي للفكر الاسلامى ، سلسلة المنهجية الإسلامية ، إصدار رقم (٩) الطبعة الثالثة ١٤١٨ه-١٩٩٨م ص١٨٢/١٤١، " إشكالية التحيز.. رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد " **..** المحور الثالث **"** الفن والعمارة " تحرير : د.عبد الوهاب المسيرى .
١١. عبد العزيز حمد عبد الله الحسن : " ***وسائل الإعلام والإعلان ..وصف نظري للعلاقة والتأثير*** " ، مجلة عالم الاقتصاد العدد ١٦٨ ".
١٢. عبد اللطيف العوفي : " ***تأثيرات الغرس الثقافي لأفلام الفيديو الأمريكية والمصرية على طلاب الكليات من السعوديين وتصوراتهم للأمن في الولايات المتحدة ومصر*** " المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، العدد : رقم ٥٠ ، السنة ١٩٩٥م ".
١٣. محمد عمارة : " ***مخاطر العولمة على الهوية الثقافية***" ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ص: ٦ ، فبراير ١٩٩٩م .
١٤. محمود سمير المنير : " ***العولمة وعالم بلا هوية*** " ، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص: ١٤٦.
١٥. مشاري بن عبد الله النعيم : " ***العمارة والثقافة دراسات نقدية في العمارة العربية*** " ، مؤسسة اليمامة الصحفية - كتاب الرياض ، قراءة رشدي خليفة ، جريدة المدينة السعودية ، العدد ١٥٥٩٠ ، ٢٦ ذو القعدة ١٤٢٦ ـ ١٨ ديسمبر ٢٠٠٥.
١٦. نـــدوة : " ***الهويـــة العربيـــة عبـــر حقـــب التـــاريخ*** " الكلمـــة الافتتاحيـــة للنـــدوة، ص: ٧، ٢٥-١٩٩٧/٦/٢٦م، المجمع العلمي بغداد .

17. Defleur, Melvin L. & Sandra Ball-rokeach. (1989). ***Theories of Mass Communication***. Fifth Edition. Longman. New York, USA
18. Lowery, Shearon A. & Melvin L. Defleur. (1995). ***Milestones in Mass Communication Research: Media Effects***. Third edition. Longman Publishers, New York, USA, P. 387.
19. Richard E. Nisbett (2003). "***The Geography of thought ...How Asians And Westerners Think Differently ... And Why?*** " : Free press, New York.
20. Scholt, J,A rt,(1997): ***the Globalization of world politics in hon Boylis and steve Smeth*** (esd) the Globalization world politics, Oxford University press, P,